مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(رومية ١٣:١١–١٤؛
١٤:١–٤)

يا إخوةُ إنَّ خلاصَنا الآنَ
أقربُ ممَّا كان حين آمنَّا*
قد تناهى الليلُ واقتربَ
النهارُ فلندَعْ عنَّا أعمالَ
الظُلمةِ ونلبسْ أسلِحَةَ
النور* لنَسلُكَنَّ سلوكاً لائقاً
كما في النهار لا
بالقُصوفِ والسُكرِ ولا
بالمضاجعِ والعَهَرِ ولا
بالخِصامِ والحَسد* بل
البسوا الربَّ يسوعَ المسيح
ولا تهتمُّوا بأجسادِكم
لقَضاءِ شَهواتِها* مَن كانَ
ضعيفاً في الإيمانِ
فاتَّخِذوهُ بغيرِ مباحثةٍ في
الآراءِ* مِنَ الناسِ مَن
يعتقِدُ أنَّ لهُ أن يأكُلَ كُلَّ
شيءٍ. أمَّا الضَّعيفُ فيأكُلُ
بُقولاً* فلا يَزدَرِ الذي يأكُلُ
من لا يأكُلُ ولا يدِن الذي
لا يأكُلُ مَن يأكُلُ فإنَّ اللهَ
قدِ اتَّخذهُ* مَن أنتَ يا مَن
تدينُ عبداً أجنبيًّا. إنَّهُ

أحد الغفران

أحد الغفران هو الأحد الأخير قبل بداية الصوم الأربعيني المقدَّس. يتمّ التركيز في صلوات هذا اليوم على طرد آدم وحوّاء من عدن، متذكّرين كم سقطنا في خطايا عديدة مبتعدين وفاصلين أنفسنا عن الله.

مع انطلاقة الصوم الكبير يذكّرنا هذا الأحد بحاجتنا إلى المغفرة ويدلّ عقولنا وقلوبنا وأنفسنا إلى طريق العودة إلى الله بتوبة.

لأحد الغفران موضوعان أساسيان: نتذكّر فيه أولاً حدث طرد آدم من الفردوس مع التشديد على حاجتنا إلى التوبة ثانياً. ثمّة أسباب واضحة لجذب انتباهنا إلى هذين الأمرين فيما نقف على عتبة الصوم الكبير. إحدى الصور الأساسيّة في كتاب التريودي هي صورة العودة «إلى الفردوس»، إذ إنّ الصوم هو الفترة التي ننوح فيها مع آدم وحواء إثر إقفال بوابة عدن، ونتوب معهما عن الخطايا التي حرمتنا الاتّحاد بالله. غير أنّ الصوم هو أيضاً فترة نتحضّر فيها للإحتفال بحدث المسيح الخلاصي، أي موته وقيامته التي أعادت فتح الفردوس أمامنا مجدّداً (لو ٢٣: ٤٣). إذاً، إنّ حزننا الذي سبَّبه الطّرد يخفّفه الرجاء بالعودة إلى الفردوس.

أمّا الموضوع الثاني، أي الغفران، فيشدّد عليه المقطع الإنجيليّ المقروء على مسامعنا (متى ٦: ١٤–٢١). قبل أن نلج ميناء الصوم نتذكّر أنّه ليس صومٌ حقيقيّ ولا توبة حقيقيّة أو مصالحة مع الله إلاّ إذا كنّا متصالحين بعضنا مع بعض. إن الصوم الخالي من المحبّة المتبادلة هو صومٌ شيطانيّ، فنحن لا نعبر طريق الصوم كأفراد منعزلين بل كأعضاء في عائلة واحدة. يجب ألاّ يفصلنا صومنا عن الآخرين، بل أن يربطنا بهم بشدّة.

العدد ٢٠١٣/١٧

الأحد ١٧ آذار

أحد مرفع الجبن

تذكار أبينا البار ألكسيوس رجل الله

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر الثامن

يجعلنا أحد الغفران نرى أيضاً أنّ الصوم الكبير هو رحلة تحرّر من عبوديّة الخطيئة. يضع المقطع الإنجيلي شروط هذا التحرّر التي أوّلها الصوم ورفض كلّ الرغبات والنزوات التي تطلبها طبيعتنا الساقطة على اعتبار أنّها طبيعية، والقيام بجهادٍ لتحرير أنفسنا من تسلّط البشرة على الروح. ولكي يكون صومنا فعّالاً، يجب ألاّ يكون ريائيًّا «لنظهر للناس أننا صائمون»، إذ علينا ألا نظهر للناس

لِمولاهُ يثبُتُ أو يَسقُطُ. لكنَّهُ سيُثبَّتُ لأنَّ اللهَ قادِرٌ على أن يُثبِّتَهُ.

الإنجيل

(متى ٦:١٤-٢١)

قال الربُّ إن غفَرتُم للناس زلاَّتِهم يغفِرْ لكم أبوكم السماوي أيضاً* وإن لم تغفِروا للناسِ زلاَّتِهم فأبوكم أيضاً لا يغفِرُ لكم زلاَّتِكم* ومتى صُمتم فلا تكونوا مُعبّسين كالمرائين. فإنَّهم يُنكّرون وجوهَهم ليظهروا للناس صائمين. الحقَّ أقولُ لكم إنَّهم قد أخذوا أجْرَهم* أمَّا أنتَ فإذا صُمتَ فادهَنْ رأسَكَ واغسِلْ وجْهَك لئلاَّ تظهرَ للناس صائماً بل لأبيك الذي في الخِفْية. وأبوك الذي يرى في الخِفْيةِ يُجازيكَ علانيةً* لا تكْنِزوا لكم كُنوزاً على الأرض حيث يُفسِدُ السوسُ والآكِلَةُ ويَنْقُبُ السارقون ويسرِقون* لكن اكنِزوا لكم كنوزاً في السماءِ حيث لا يُفسِدُ سوسٌ ولا آكِلةٌ ولا يَنْقُبُ السارقون ويسرقون* لأنَّهُ حيث تكون كُنوزُكم هناك تكونُ قلوبُكم.

صائمين بل لأبينا الذي في السموات وهو يجازينا علانية.

أمّا الشرط الآخر فهو الغفران: «إن غفرتم للناس خطاياهم فأبوكم السماوي يغفر لكم خطاياكم أيضاً». إنّ العلامات الرئيسة لانتصار الخطيئة في العالم هي التفرقة والخصومات والتقسيم والبغض، وتالياً، فإنّ الاختراق الأول لحصن الخطيئة هذا هو الغفران والعودة إلى الوحدة والتضامن والمحبّة. أن أسامح يعني أن أضع بيني وبين «عدوّي» المغفرة الساطعة التي للمسيح نفسه. الغفران هو «اقتحام» فعليّ للملكوت في عالم خاطئ وساقط.

يُعرف أحد الغفران أيضاً بأحد «مرفع الجبن» إذ يتوقّف المؤمنون عن أكل كلّ مشتقّات الحليب في نهاية هذا اليوم ليبدأ صوم كامل مع صباح اليوم التالي.

تُقام مساء هذا الأحد الصلاة «الصيامية» الأولى المدعوّة «صلاة الغفران» وهي صلاة غروب تُختم بطلب الغفران بعضنا من بعض في سعي للحصول على المغفرة من الله. في هذا الغروب تُتلى للمرّة الأولى صلاة القديس «أفرام السرياني» المعروفة بصلاة التوبة، فنبدأ بها طلب الغفران من الله ثم نتوجّه إلى إخوتنا في المسيح طالبين المغفرة منهم إذا كنّا أسأنا إليهم بشيء طوعيًّا أو كرهيًّا.

في النهاية، لا تكن مغفرتنا بعضنا لبعض نابعة من مصلحة شخصيّة (إن لم نغفر لا يُغفَر لنا) بل فلتكن مغفرتنا نابعة من المحبّة التي جُبِلنا بها، وبما أنّ الله خلقنا على صورته ومثاله، فإنّه علينا أن نكون حاوين قدراً من المحبّة لا يُحدّ بما أنّ الله محبّة وهو غير محدود.

القديس كيرلس الأورشليمي

وُلد القديس كيرلس، الذي نعيِّد له في الثامن عشر من آذار، العام ٣١٥ في أورشليم، لأهل أتقياء مستقيمي الرأي. سامه الأسقف ماكسيموس كاهناً وأوكل إليه إعداد الموعوظين أي المتهيئين للمعمودية. كان رجل سلام اقتصر همّه على بنيان مؤمني رعيته، فنأى عن الصراعات العقائدية التي أدت إلى اضطرابات شتّى وانشقاقات متزايدة في الكنيسة بُعَيْدَ المجمع المسكوني الأول (نيقية ٣٢٥). إيمانه كان مستقيماً نقيًّا، إلاّ أنّ الآريوسيين اعتقدوا أنه من أتباعهم، فكان أن زكّى أكاكيوس، المطران الآريوسي لقيصرية فلسطين، انتخابه أسقفاً على القدس من بعد وفاة راعيها العام ٣٤٧. لكنه سرعان ما ندم على خطأه لأنه أدرك أنه مهّد السبيل أمام أبرز المدافعين عن الإيمان الأرثوذكسي وتعليمه عن ألوهة المسيح كلمة الله وابنه الأزلي.

رعى أبرشيته بتفانٍ فتمكن من إعادة مدينة أورشليم إلى ألَقِها الروحي كمركز للحج، ولا سيما أن الإمبراطور قسطنطين الكبير أجزل العطايا لإنشاء الكنائس وإبراز المقامات المقدسة فيها. ساهم أيضاً في تنظيم الصلوات والإحتفالات والزياحات في الأماكن المقدسة، والتي صارت في مرحلة لاحقة الأساس الليتورجي للأعياد المسيحية الأبرز. وقد رفع عريضةً إلى متروبوليت قيصرية فلسطين مطالباً إياه بإعطاء أورشليم الامتيازات الرسولية التي حدّدها لها مجمع نيقية المسكوني. هذه المطالبة

تأمل

إذا كان أطباءُ الأجسام متى عزموا على المداواة يأمرون المرضى أولاً بالحِمية، وثانياً بتجنُّب الاختلاطات الرديئة، وثالثاً باجتناب ما يعارض قوَّة الدواءِ ليظهر نفعهُ في البدن، وهم يحمدونهم على ذلك ويشكرون فضلهم، فكيف لا يكون هذا العزم فينا إذا عزمنا على تناول الأدوية الروحيَّة بأن نطهِّر أجسادنا ونزكّي نفوسنا ونُنقّي ضمائرنا عند استماع أقوال ربنا ونتفاوض في منافع فضيلة الصيام المقدَّس؟ لأن الأجسام إذا ثقلت بالمأكل وغرقت العقول في السكر ومالت الحواس إلى الشهوات الخبيثة فأيّ سماع يسمعون وأيَّ فهم يفهمون. وأيُّ حالة أقبح وأشنع من حالة الذين يمتلئون من الطعام فوق طاقتهم ويواصلون شرب الخمر ليلاً ونهاراً. فإنهم يتنفَّسون كالمكروبين، ويتقيَّأون كالكلاب، ويتمرَّغون كالخنازير، ويهرّجون كالمجانين، ويُضحكون عبيدهم وأهل بيوتهم، ويصيرون هزءًا للخارجين. مع علمهم ان ذلك مما يجلب عليهم سخط الله لأنه تعالى يقول ان السكيرين لا يرثون ملكوت الله وان كل من أحبَّ هذا العالم يكون عدواً لله. ومن هو الذي يكون أشقى ممَّن

أثارت حفيظة أكاكيوس الآريوسي الذي استغلّ ذريعة بيع كيرلس بعض الآنية والأغطية الكنسيّة زمن المجاعة لإطعام فقراء أورشليم، واستدعاه إلى المحاكمة، وحرمه، وعيّن مكانه أسقفاً آريوسيًّا.

التجأ كيرلس إلى طرسوس كيليكية حيث استقبله أسقفها سلوانس، ومنها رفع شكواه إلى السلطات الكنسيَّة العليا. وعظ وعلّم في طرسوس إلى أن التأم مجمع محلي العام ٣٥٩ في سلفكية برآه وحرم أكاكيوس. ثم إن اضطهاداً وثنيًّا نشب زمن يوليانس الجاحد، الذي أحرق دير القديس إيلاريون، وعرَّض المسيحيين للتعذيب والقتل... لكن زلزالاً ضرب أورشليم بدّد سحابة الإضطهاد، وأعاد الهدوء مع وفاة يوليانس عام ٣٦٣. وقد نُفي القديس مجدّداً زمن الإمبراطور فالنس بتأثير من الآريوسيين (٣٦٤–٣٦٨).

شارك كيرلس في المجمع المسكوني الثاني العام ٣٨١ الذي أدان الآريوسية والمذاهب المنبثقة منها بشكل نهائي. وقد ثبّت المجمع أسقفية كيرلس الذي عاد ليقضي ايامه الأخيرة فيها بسلام ويرقد العام ٣٨٦ بعد خمس وثلاثين سنة من الخدمة الأسقفية تخللتها ست عشرة سنة من النفي.

أهمّ مؤلفات القديس هي مواعظه الثماني عشرة «في تهيئة الموعوظين» و«العظات الخمس في الأسرار» التي تلي المعمودية. نجد فيها معلومات هامة عن طقوس المعمودية في القرن الرابع، وعن الإيمان الذي بُشِّر به في أورشليم.

كان الموعوظون يخضعون لإشراف الكنيسة ولمرحلة من الصوم وضبط النفس والتوبة بالقول والفعل. وكان الأسقف، طيلة فترة موعوظيّتهم يتلو على رؤوسهم الطلبات إضافة إلى صلوات طرد الشياطين. ويلاحظ القديس الفعل التقديسي للتعليم الديني: «إنكم تتحضّرون لا من الخارج، بل داخليًّا، لأن الروح القدس قد حضر إليكم وجعلكم هيكلاً لله».

كان الموعوظون يتعلّمون أيضاً مبادئ الإيمان. هذه كانت غاية نصوص القديس كيرلس. كان الموعوظ يحفظ في قلبه سرًّا مضمون تعاليم الإيمان. يشبّه القديس التعليم الديني بعملية البناء، حيث ينبغي وضع الحجارة بإحكام وتدرّج في مكانها، لكيما تلتئم زوايا البيت. أما الاستعجال في تلقين المعرفة قبل النضوج فمن شأنه أن يؤدي إلى الظلمة. لأنه ينبغي لدستور الإيمان الذي يُعلن ويفسّر للموعوظين في المرحلة الأخيرة من التهيئة أن «يُنقش على القلوب وفي الذاكرة»، أمّا الصلاة الربّيّة، «الأبانا»، فيشرحها القديس فقط من بعد المعمودية، بما فيها من معان حياتيّة تقديسيّة تُقرأ في قلب القداس الإلهي.

مضمون التعليم المهيِّء للمعمودية كان بشكل أساس عقائديًّا. يؤكد القديس كيرلس أن دراسة العقيدة تستلزم نفساً مخلِصةً جدّية، لذا يبدأ عظاته بالحض على التوبة، وتنقية الضمير، والمغفرة، والصلاة. ثمّ يعرض تلخيصاً موجزاً لعقائد الثالوث القدوس، والفداء، وتعليم الكنيسة عن الإنسان، نفسه وجسده، وحياته الأخلاقية، والكتاب المقدس. ومن بعد هذا يتبع تدرّج دستور الإيمان، مؤكّداً أنّ اعتراف الإيمان ينبغي أن يقوم على براهين من أسفار الكتاب المقدس وتعاليم الكنيسة لا من منطق البشر.

يقايضون الملكوت السماويَّ باللذات الدنيوية الفانية. وإذا كان الإنسان الأول بأكلةٍ واحدة سقط من ذلك المجد وطُرد من فردوس النعيم وحُكِم عليه بالموت فكيف تكون عقوبة المذنبين بمثل ذلك أضعافاً. أفرأيت أيها الحبيب كيف بعلّة الشراهة من البدء دخل الموت إلى العالم وبأعمال الفضائل ظهر سبيل الخلاص للفائزين. وإن أردت إيضاح ذلك فاسمع ما قالهُ الكتاب الإلهيُّ من أخبار العصاة المسرفين مثل بني إسرائيل وجيل الطوفان وأهل سدوم وعمورة. ومن أخبار الفاضلين مثل نوح وإبرهيم وموسى وإيليا ودانيال وأخنوخ وأمثالهم لأن أولئك بالمواظبة على الأعمال الرديئة والتمتع بالشهوات الخبيثة عُذِّبوا بالعذاب الأليم. وهؤلاء بالأصوام الطاهرة والأعمال الفاضلة قهروا الملوك وغلبوا عساكر الأعداء وسدُّوا أفواه الأسُد وأخمدوا لهيب النار ودفعوا مواقع الغضب واستعدُّوا للخلود في النعيم. وما لي أتكلّم عن هؤلاء ولا أذكر فضل صيام سيدنا يسوع المسيح لأنه صام أربعين يوماً ثم خرج لجهاد خبيث وصنع لنا بذاته مثالاً ورسماً لكي نقتدي بآثاره الطاهرة.

الأخت تقلا في الأخدار السماوية

في الثامن والعشرين من شباط ٢٠١٣ الماضي انتقلت إلى الأخدار السماوية الأخت المتوحدة تقلا يوسف، بعد أن أمضت أكثر من ١٩ عاماً من حياتها راهبة في دير القديسة كاترينا في زهرة الاحسان. كانت في الدير تهتم بشؤون اليتيمات وخدمة الأخوات المريضات، وكانت مثالاً يُحتذى به في النشاط والغيرة والخدمة.

ظهر الجمعة ١ آذار ٢٠١٣ ترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة الجناز يحيط به كهنة الأبرشية وراهبات من مختلف الأديار. ومما جاء في عظته: «إن الأخت تقلا كانت منذ البدء متشوقة إلى الرب، عطشى إليه، تسعى في كل حين أن ترضيه وأن تفعل مشيئته، في خدمة الإنسان والمحتاج والفقير والمعوز والمريض. كانت الأخت تقلا منذ طفوليتها تحبّ سماع كلمة الرب وكانت تلجأ إلى كل إنسان يتكلّم عنه أو يخدمه لكي تتعلّم الخدمة الصحيحة. كانت صادقة كل الصدق في محبتها وفي خدمتها وفي حماسها وفي غيرتها وكانت تفرح فرحاً كبيراً في خدمة الرب وما شاءت مرة أن تحزنه بالإبتعاد عنه.

تتلمذت في بشمزين على أخٍ قديس رقد بالرب هو المطران بولس بندلي عندما كان كاهناً لرعية بشمزين، فتعلّمت منه التواضع وابتعدت عن التكبّر كما تعلّمت منه خدمة الرب. هذه الأخت المحبة دخلت بعد مخاض إلى دير القديسة كاترينا لكي تكرّس حياتها تكريساً كلياً للرب ولبست ثوب التكريس، ثوب الراهبة، لكي تبقى مستعينة بالرب مجاهدة لكي تصبح كالملائكة الذين يسبّحون الله في كل حين بالقول وبالفعل وبالفكر. لبست الإسكيم الملائكي لكي يذكّرها في كل حين بأنها ستُدان إن لم تسعَ أن تصبح ملاكاً يحبّ الله ولا ينساه برهةً، يسبّحه في النهار وفي الليل، في اليقظة وفي المنام، لأن قلب الراهب يقظ في كل حين.

كانت الأخت تقلا قدوة في الخدمة لأنها تعلّمت من الرب الذي قال لها: جئت لأخدُم لا لأُخدَم، أي جئت لأكون خادماً لكم من أجل خلاصكم. احتذت به قدوة لها لكي تصبح هي أيضاً قدوةً لعارفيها، لكي تصبح نوراً يهتدي به مَن يريد أن يحب الرب حبًّا كبيراً. كانت تهتم باليتيم وبالمريض وبالمحتاج لأنها كانت ترى وجه الله فيهم، لأن الرب أتى فقيراً في مغارة، في مزودٍ وأتى بدءاً إلى أولئك الذين يسعون إليه طالبين إياه ومعونته...

إن أختنا تقلا عاشت على أسس ثلاث، عاشت على الإيمان والرجاء والمحبة وعَلِمَتْ بأن المحبة هي أعظمهنّ. اليوم تستقرّ حيث نبع المحبة والإيمان والرجاء فليكن ذكرها مؤبداً».

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb